خذها من يدي

[قرأت في إحدى الصحف ان امرأة مصرية من بورسعيد خنقت جندياً عدواً فأردته]

أيها الغدّار خذها من يديّ
قبضتي هذي حديدٌ يا عنيدْ
والردى في قبضتيّ
وسأرديكَ بثأري وحده
لا بالتعدّي
أي فخر بالتعدي
قوة الشعب الأبيّ لا تردْ
كل طفل بطلٌ كل عجوز تستعدْ
هاك خذها من يديّ
بيدي لا بالسلاح
أيها الوغد الوقاحْ
أشرقت شمس الكفاحْ
هذه أختي تناضلْ
وأبي شيخ كبيرْ
وهنت منه المفاصلْ
وأبي الشيخ يقاتلْ
لن تنالْ ما تريدْ
قوة الحق تبيدْ
كل قوه
لن تخيف النار شعباً
يتلظى بالحميهْ
كل أبنائي جنود وأسودْ
كل أمّ هي في مصر تجود
والعقيم تتشهى وتقولْ
ليتني كنت ولودْ
ليتني كنت ولودْ لأسودْ بالنضالْ
كل أمّ تتمنى أن تكونْ
ألف أمّ للقتالْ
أيها المغرور في حشد الأساطيل تمردْ
وتوعّدْ
نحن في الصف الموحّدْ
نتجددْ
نتوقدْ
ثورة لا تعرف النار لظاها
نحن فجّرنا من القلب لظاها
هاك خذها من يديّ
ميتة من حقد أمّ عربيهْ
ميتة للهمجيهْ
وبنياتي الصغارْ في اللهيبْ
انها ذابت
ولكن بورسعيدْ
في الشهيد
والفدائي العتيد
عبق الفجر الرغيد

دمشق **عزيزة هارون**

— عمي ، هل وصلت من الكويت ؟

وتكسر صوتها في حنجرتها ، ورفعت نفسها متكئة على كفيها ومدت عنقها نحوي ، فربت على ظهرها وجلست قربها .

— ناديا ، لقد احضرت لك هدايا من الكويت ، هدايا كثيرة ، سأنتظرك الى حين تأتين لداري فأسلمك اياها ، لقداشتريت لك البنطال الاحمر الذي ارسلت تطلبينه مني ..

كانت كذبة وّلدها الموقف المتوتر ، وشعرت وانا الفظها كأنني اتكلم الحقيقة لاول مرة .. اما ناديا فلقد ارتعشت كمن مسه تيار صاعق.. وطأطأت رأسها بهدوء مريع واحسست بدمعها يبلل ظاهر كفي :

— قولي يا ناديا ، الا تحبين البنطال الأحمر ؟

ورفعت بصرها نحوي ، وهمت ان تتكلم لكنها كفت ، وشدت على اسنانها وسمعت صوتها مرة اخرى من بعيد بعيد : — يا عمي ..

ومدت كفها فرفعت باصابعها الغطاء الابيض ، وأشارت الى ساق مبتورة من اعلى الفخذ !! يا مصطفى !

ابداً لن انسى ساق ناديا المبتورة من اعلى الفخذ ، لا ، لن انسى ناديا ابداً ولن انسى الحزن الذي هيكل وجهها واندمج في تقاطيعه الحلوة الى الأبد .

لقد خرجت يومها من المستشفى الى شوارع غزة ، وانا اشد باحتقار صاعق على الجنيهين اللذين احضرتهما معي لاعطيهما لناديا .. كانت الشمس الساطعة تملأ الشوارع بلون الدم .. كانت غزة ، يا مصطفى ، جديدة كل الجدة ، ابداً لم نرها هكذا انا وانت : الحجارة المركومة على اول حي الشجعية ، حيث كنا نسكن ، كان لها معنى كأنما وضعت هناك لتشرحه فقط .. غزة هذه التي عشنا فيها مع رجالها الطيبين سبع سنوات في النكبة كانت شيئاً جديداً كل الجدة .. كانت تلوح لي انها انها .. انها بداية فقط ، لا ادري لماذا كنت اشعر انها بداية فقط ، كنت اتخيل ان الشارع الرئيسي وانا اسير فيه عائداً الى داري ، لم يكن الا بداية صغيرة لشارع طويل طويل يصل الى صفد . كل شيء كان في غزة هذه ينتفض حزناً على ساق ناديا المبتورة من اعلى الفخذ ، حزناً لا يقف على حدود البكاء ، انه التحدي ، بل اكثر من ذلك ، انه شيء يشبه استرداد الساق المبتورة .

لقد خرجت الى شوارع غزة ، شوارع يملأها ضوء الشمس الساطع ، لقد قالوا لي ان ناديا فقدت ساقها عندما القت نفسها على اخوتها الصغار تحميهم من القنابل واللهب .. كان يمكن لناديا ان تنجو بنفسها ، ان تهرب ، ان تنقذ ساقها ، لكنها لم تفعل ... لماذا ؟!

لا يا صديقي ، لن آتي لسكرمنتو ، وانا لست آسفاً البتة ، لا ، ولن اكمل ما بدأناه معاً منذ طفولتنا . لأن هناك ناديا ، وهناك كثير مثل ناديا يشيرون لنا ويبتسمون .. لن آتي اليك ، بل عد انت لنا .. عد لتتعلم من ساق ناديا ، المبتورة من اعلى الفخذ ، ما هي الحياة وما قيمة الوجود .

عد يا صديقي ، فكلنا ننتظرك .

المخلص

الكويت **غسان كنفاني**